دكتور بهاء الأمير

الإسلام والحركات الإسلامية والثورات



السؤال



Mosab Khalifa

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

دكتور بهاء الأمير نسألك النصيحة .... الآن قد أطاحت الاحتجاجات الشعبية عندنا في السودان بالرئيس عمر البشير من الحكم، والأمور مضطربة جداً على المستوى السياسي بعد استلام الجيش للسلطة، ما يهمني هو المستوى الأعمق للأزمة، وهو محور سؤالي، الثورة في السودان تختلف من حيث التركيبة عن بقية ثورات العرب حيث إن جميع تلك الثورات كانت على نظم علمانية ديكتاتورية تم الإطاحة بها، ثم تصدر الاسلاميون المشهد وربح غالبيتهم في الانتخابات والحكومات التي تلت الثورة، ثم انقضت عليها الثورة المضادة كما يسمونها، لتعيد النخب العلمانية إلى صدارة المشهد مرة أخرى، لكن في السودان النظام الفاسد الذي تمت الاطاحة به هو نظام يدعي أنه إسلامي ومنسوب بصورة أو بأخرى للإخوان المسلمين، وهنا مربط الفرس، حيث إن هناك ناراً تشتعل تحت الرماد وهجمة شرسة على الإسلام نفسه تحت مسمى انتقاد واستئصال النظام السابق وإقصاء الجماعات الدينية، بالضبط مثلما حدث في إعلام مصر عندما اعتلى ثالث الآتين من الخلف سدة الحكم، فهل من دور نقوم به للتوعية ولتبصير عوام الناس بحقيقة هذا المسار؟

الجواب

دكتور بهاء الأمير

١

يتوهم كثير من العوام وأنصار الحركات الإسلامية أن الدولة الإسلامية معناها أن يحكمها الشيوخ، أو أناس طيبون وجههم سمح وبتوع ربنا وكل مؤهلاتهم أنهم يحافظون على الصلوات ويطلقون لحاهم وتمتلئ خطبهم بالكلام عن الإسلام والشريعة، وهو وهْم مطلق وسذاجة منقطعة النظير.

والفحول من صناع الدول والساسة وقادة الجيوش في تاريخ الإسلام ودوله كلها، لم يكونوا مجرد رجال طيبين ويحافظون على الصلوات، بل كانوا كفايات سياسية وإدارية رفيعة، وعلى قدر كبير من الدهاء والخبرات والعلم بتوازنات عالمهم ومجتمعاتهم، والبصر بفنون السياسة والعسكرية، وقدرة هائلة على ممارستها وتوظيفها في قهر أعدائهم وإزاحة خصومهم.

والدولة الإسلامية الحقيقية هي الدولة التي يحكمها الإسلام، ليس كلافتات وشعارات تمتلئ بالكلام البراق والعبارات الإنشائية والمظاهر الشكلية، بل هي التي يحكمها الإسلام كمنظومة عقائدية وتشريعية وأخلاقية وقيمية واجتماعية واقعية وفعلية، تسيطر على المجتمع بنعومة وبرضاه، وتديره بكفاءة عالية، وتيسر حياة عموم الناس وتحقق احتياجاتهم المادية والذهنية والنفسية، ويرتبط الإسلام من خلالها في أذهانهم برفعة الدولة وكفاءة أجهزتها، وبهيبتها في مواجهة أعدائها، وبتحقيق الأمن وانضباط المجتمع والحياة الكريمة.

والحاكم الإسلامي الحقيقي، فرداً أو طبقة، هو الذي يتمثل الإسلام وقيمه وشرائعه ويتمكن من صياغتها عملياً وترجمتها في هذه المنظومة الواقعية وإدارة الدولة والمجتمع بها، وليس مجرد رجل يصلي ويحوقل ويبسمل.

والدولة التي ترفع شعارات الشريعة دون أن يكون لها أثر في إدارة المجتمع وضبط واقع الناس بها، ولا في إصلاح ما به من خلل وفساد، ولا في سياساتها الخارجية، ليست دولة إسلامية.

وكذلك الدولة التي تُهدر فيها الحقوق ويشيع الظلم ولا يجد المظلوم طريقة تنصفه ويحصل بها على حقه ليست إسلامية، ومثلها الدولة التي تضع قوانين وتشريعات ونظم تقول إنها إسلامية ثم تطبقها على عموم المجتمع وعوامه دون طبقاته الحاكمة والعليا والمقربة منها، والدولة التي تنتهب الطبقات الحاكمة ومن يدورون حولها خيراتها، أو يختل فيها توزيع الثروة ويوجد بون شاسع وفجوة كبيرة بين طبقات مترفة مرفهة تغرق في الزينة والزخرف وطبقات أخرى لا تجد قوت يومها، وكذلك الدولة التي توالي أعداء الإسلام وأمته، أو تفرط في مقدساته وتتواطأ مع اليهود على القدس والمسجد الأقصى، فهذه كلها ليست دولاً إسلامية، وإن زعمت ذلك ورفعته في راياتها وشعاراتها، وإن تغنى به خطباؤها ووعاظها ليلاً ونهاراً.

٢

جماعة الإخوان والحركات الإسلامية عموماً حركات سطحية، وتتكلم كثيراً في السياسة وتمارس أفعالاً تصنف بها على أنها حركات سياسية، ولكنها لا تفهم حقاً في السياسة، ولا تمتلك قياداتها قدرات صناع الدول ولا مهارات الساسة العظام القادرين على تغيير حركة الدول ومسار التاريخ.

والسياسة وقدرات الساسة العظام ومهاراتهم، ليست فقط الحشد والتعبئة وخوض الانتخابات، ولا عقد المؤتمرات وإصدار البيانات، ولا إبرام التحالفات مع هذا الطرف أو ذاك، بل السياسة قبل كل هذا ومعه إدراك الواقع وتوازناته ومفاتيحه والقوى الحقيقية الفاعلة فيه، ما كان مرئياً منها وما هو غير مرئي، وما كان داخلياً وما كان خارجياً، والقدرة على توظيف هذه العناصر كلها في تحقيق الهدف.

وقد أثبتت الثورات في بلاد العرب ومواقف الحركات الإسلامية وخطواتها خلالها، وردود أفعالها وتفاعلها مع أحداثها، خصوصاً جماعة الإخوان، أنها حركات عمياء لا عقل لها، وهي في سلوكها وتفاعلها مع الأحداث أقرب إلى الآلة المبرمجة منها إلى صناع الدول وفحول الساسة، وفهمها للسياسة لا يفرق عن فهم العوام في المقاهي والبيوت.

فهي لا تدرك الفرق بين الإدارة والسياسة، ولا بين السياسة والصراع السياسي والأزمة الحادة، ولا بين تداول السلطة من حاكم إلى حاكم في دولة وبين إسقاط دولة وإقامة أخرى، وحين اندلعت الثورات لم تتمكن من إدراك ما يحدث على حقيقته ولم تفهمه، بل انساقت مع ما يحدث وكأنها حجر سقط من أعلى ومساره محكوم بقوة من خارجه ولا إرادة له في التوقف أو التروي أو الخروج عن المسار المرسوم، ودون أن يكون عندها وعي بالقوى الحقيقية والمفاتيح الفاعلة داخل مجتمعاتها، ودون أن تدرك صلة ما يحدث في بلد بما يحدث فيما يجاورها من بلدان المنطقة، ولا صلة ذلك كله بدولة اليهود المغروسة في قلب بلاد العرب ولا بالمشروع اليهودي، ولا صلة المشاهد التي تحدث في الداخل والأطراف التي تتصدرها بالأطراف التي في الخارج، وتوهمت في سذاجة مفرطة أن الانتخابات وحيازة الأغلبية فيها قوة مطلقة يمكنها بها سحق القوى الواقعية كلها، وإسقاط دولة وإقامة أخرى، وبسذاجة أكبر توهمت أن الولايات المتحدة الماسونية هي التي ستوصلها إلى السلطة في بلاد العرب وإلى أستاذية العالم، وأغوتها إشاراتها الخضراء التي فتحتها لها، فاندفعت في حماقة بالغة نحو السلطة دون أن ترى المصيدة المنصوبة لها في داخلها!

والأدهى من ذلك كله، ومن أنهم لم يكونوا يفهمون، هو عدم استعدادهم لسماع من يفهم وكان يرى المصيدة المنصوبة لهم وحذرهم منها، طالما أنه يتكلم عن الثورة بغير أنها ثورة ربانية مباركة واندلعت من تلقاء نفسها.

وقيادات الإخوان والحركات الإسلامية، وأعضاء هذه الحركات عموماً، عندهم قلق حركي، فهم دائماً يريدون أن يفعلوا شيئاً، وأن يتصدروا وسائل الإعلام ويظهر ما فعلوه

فيها، وليس مهماً ماذا يكون هذا الشئ، وهل تؤهلهم قدراتهم لفعله أم لا، وهل الظروف والملابسات مناسبة لفعله أم لا، وما الذي ينتجه ويترتب عليه من عواقب وآثار، المهم أن يفعلوا وفقط، بينما صناع الدول ودهاة الساسة قد يظلون في كمون عشرات السنين يدبرون ويرتبون ويهيئون الظروف والملابسات دون أن يراهم أو يشعر بهم أحد، إلى أن تأتي لحظة محددة مناسبة قد تهيأ فيها كل شيء لأن يظهروا ويفعلوا ما كانوا يدبرون له، وإذا لم تأت هذه اللحظة ظلوا في كمون وسلموا كمونهم وتدبيرهم لمن بعدهم لكي يواصلوا المسيرة إلى أن تأتي اللحظة المناسبة.

ومع الأسف فالأبالسة الذين قدحوا شرارة هذه الثورات كانوا يدركون من جماعة الإخوان والحركات الإسلامية ما لا تدركه هي عن نفسها، ويعلمون البرنامج التي هي مبرمجة عليه ولن تخرج عنه، ووظفوا ما يدركونه ويعلمونه عنها في تحقيق أهدافهم وتسيير المسار في الاتجاه الذي يريدونه، ولذا انتهت الثورة الربانية المباركة بالإطاحة بالآلة العمياء بعد أن أدت دورها، وبوصول من ظل كامناً لا يراه أحد إلى السلطة حين أتت اللحظة المناسبة التي كان يرتب لها من مكمنه، أو بعبارة أدق التي كان يرتب له ولها الأطراف الحقيقية التي قدحت شرارة الثورة وتسيطر على مشهدها من مكامنها في الغرب.

٣

قلت سابقاً عند الكلام عن الثورة في الجزائر، إن الثورات في بلاد العرب كلها لها ثلاثة مستويات، المستوى الأول هو الملابسات والظروف السياسية الآنية داخل كل بلد التي دفعت ملايين الناس فيها إلى النزول في الشوارع، ودور وسائل الإعلام في ذلك، وهي ظروف وملابسات متشابهة في بلاد العرب كلها.

والمستوى الثاني والعميق هو افتقاد النظام العربية عموماً للشرعية، ووجود فجوة وحالة من عدم التجانس وافتقاد الرضا بين الطبقات الحاكمة والشعوب.

وهي أيضاً مسألة لا تفرق فيها الأنظمة العلمانية عن تلك التي تقول إنها إسلامية، لأن كون الدولة إسلامية حقاً ليس بالشعارات ولا بأن يحشو رأسها خطبه بالكلام عن الشريعة، ولا حتى بالنص على ذلك في الدساتير، بل كما أسلفنا بالقدرة على ترجمة الإسلام وقيمه وشرائعه إلى منظومة فعلية واقعية، وحسن إدارة المجتمع وضبطه بها وتيسير حياة الناس من خلالها، وبإصلاح المجتمع وإزالة ما به من خلل وفساد، وبالعدل ووجود قنوات منظمة لا استثناء فيها لمراجعة السلطة ومن فيها وتقييدهم ومحاسبتهم إن أخطأوا، ولإنصاف المظلوم ورد الحقوق، وبالعدالة الاجتماعية وتوزيع الثروات توزيعاً منصفاً دون فجوات كبيرة بين طبقات المجتمع.

والمستوى الثالث والأعمق للثورات هو أنها وسيلة لإعادة هيكلة بلاد العرب كلها، ومن المحيط إلى الخليج، لكي تتناسب مع المرحلة التالية من المشروع اليهودي ومقاسات الدولة اليهودية الجديدة.

فما يحدث في القرن الحادي والعشرين بالثورات وتوظيف وسائل الإعلام في إيقاد نيرانها، هو الموجة الثانية وصورة طبق الأصل من الموجة الأولى التي شنتها الإمبراطوريات الماسونية في أوائل القرن العشرين بالجيوش والأساطيل، وكل موجة تتواكب فيها مرحلة من المشروع اليهودي مع إزاحة الإسلام من بلاد العرب بقدرها، ومنذ ظهر المشروع اليهودي على سطح الأرض، بل ومن قبل أن يظهر للعلن، وكل خطوة تقترب بها بلاد العرب، أو دولة فيها، من اليهود ومشروعهم ودولتهم، لابد أن يتزامن معها الابتعاد عن الإسلام خطوة بالقدر نفسه، وابتعادها عن الإسلام هو بالضرورة اقتراب من اليهود ودولتهم وحراسها في الغرب.

والموجة الأولى كانت جلب اليهود من شتى بقاع الأرض وغرسهم في فلسطين وإقامة الدولة اليهودية وتمكينها، وهو ما لم يكن ممكناً إلا بإسقاط الدولة الجامعة لبلاد الإسلام، وتفكيك بلاد العرب، وإزاحة الإسلام من السلطة ومن صدارة المجتمعات، وإحلال الرابطة القومية محله، ووضع طبقات حاكمة ونخب علمانية على صدر المجتمعات في حراسة هذه الإمبراطوريات الماسونية وحمايتها.

٤

والمرحلة الثانية من المشروع اليهودي، والتي كانت الثورات ووسائل الإعلام وسيلتها وأداة تدشينها، هي تمديد دولة اليهود، على حساب بلاد العرب، بتفتيت بعضها، واختفاء بعضها الآخر، وتقليص مساحات بعضها الثالث، وتحويل ما بقي منها من دول ضعيفة إلى دول عميلة تدور كلها حول إسرائيل وتضبط كل شيء في بلادها وسياساتها على ما تريده.

وقد ظهرت بوادر هذا التمدد فعلاً باعتراف الولايات المتحدة الماسونية بالقدس عاصمة لإسرائيل ونقل سفارتها إليها، وباعترافها بسيادة الدولة اليهودية على الجولان، لتتحول من أرض تحتلها إلى إسرائيل إلى جزء منها.

وهذه المرحلة وتمدد دولة اليهود فيها، وإعادة هيكلة بلاد العرب، وضبط الطبقات الحاكمة العميلة لكل شيء في مجتمعاتها ليتوافق مع اليهود وموقع دولتهم ومقاساتها الجديدة، لا يمكن أن يكتمل إلا بإزاحة الإسلام من أنسجة المجتمعات، وتوجيه ضربات له تسقطه من وعي عموم الناس ونفوسهم، بعد إزالته من السلطة ومن تكوين الحكام والنخب في المرحلة الأولى.

وهذا هي إحدى وظيفتي آلة الحركات الإسلامية في سيناريو الثورات، فالوظيفة الأولى هي توظيف قدراتها على الحشد والتعبئة وما ترفعه من شعارات إسلامية في تحويل شرارة الثورة التي تم الترتيب لها وقدحها من الخارج إلى نيران ملتهبة، ثم فتح الطريق لها وإعطائها إشارات خضراء للتقدم نحو السلطة.

ومن يعلمون برمجة هذه الحركات يعرفون أنها غير مؤهلة للحكم وليس عندها القدرات الذهنية ولا السياسية التي تمكنها من إزاحة خصومها أو استقطابهم، ولا تملك القوة والأدوات التي تستطيع بها السيطرة على المجتمعات وإدارتها في عاصفة الثورات، ولذا حتماً ستنتهي تجربتها في السلطة بالفشل والسقوط، وفتح الطريق لها إلى السلطة ودفعها للتقدم نحوها وتسليمها لها، فقط كان من أجل أن تكون قنطرة تُزاح عبرها من بلاد العرب

الأنظمة الضعيفة المتواطئة مع الغرب واليهود ولكن لها خطوط حمراء لا يمكنها تجاوزها، وتنتقل السلطة إلى الأنظمة العميلة التي ليس لها خطوط حمراء وعندها من التكوين الذهني والنفسي ومن الدوافع الذاتية ما يدفعها لأن تفعل أي شئ دون حواجز.

والوظيفة الثانية لآلة الحركات الإسلامية في الثورات أن انتهاء تجربتها في السلطة بالفشل، وسقوط ما ترفعه من رايات، سيكون ضربة معنوية لما في هذه الرايات من شعارت الإسلام، ووسيلة لإسقاطه من وعي عموم الناس، وذريعة لمن أطاحوا بها لكي يتمموا العمل ويستكملوا إزالة ما بقي من آثار الإسلام في الإعلام والتعليم وأنسجة المجتمع ونفوس عموم الناس، فتصبح بلاد العرب بذلك قابلة لتحريكها في اتجاه اليهود ودولتهم، ومهيأة لقبول وضعها وتمددها ومقاساتها الجديدة.

وفي هذه المسألة السودان متقدمة خطوة عن مصر، لأن النظام الذي كان في السودان وهبت عليه رياح الثورة ينتمي للحركات الإسلامية ويرفع شعارت الإسلام والشريعة، وبعد ذلك فالمسار المرسوم للسودان هو نفسه مسار مصر ومسار الجزائر، وهو شيء نراه ونأمل ألا يحدث.

٥

أما كيف يكون التعامل مع هذا المستوى العميق لما يحدث في بلاد العرب، فالذي يملك وسائل يخاطب بها عموم الناس ويؤثر من خلالها فيهم، ينبغي عليه الإلحاح على التمييز بين الإسلام والحركات الإسلامية، وعدم تحميل أخطاء الحركات الإسلامية السياسية أو فشلها في إدارة المجتمع على الإسلام نفسه، ومن لا يملك إلا نفسه فعليه نفسه ومن هو مسؤول عنهم، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

دكتور بهاء الأمير

القاهرة

٩ شعبان ١٤٤٠هـ/١٥ أبريل ٢٠١٩م